

## الاستحقاقات القادمة

تأتي أحياناً التحاليل والتعليقات حول تطورات الوضع الشرق - أوسطي في العالم وكأنها تمنيات المحللين والمعلقين، وأحياناً أخرى كأنها مخاوفهم وهو اجسهم.

فالواضح في السياسة الأميركية لغاية الآن هو الحرب على العراق، ويكتنف الغموض كل ما هو بعد الحرب، وتزيد في هذا الغموض المناورات الإعلامية الكثيفة، الخاصة منها والرسمية، وغالباً ما تحمل في طياتها التباين والتناقض وفقاً للمصادر، وكلها مصادر مسؤولة لا يمكن تفضيل أحدها على الآخر.

ويمكن لمتتبع السياسة الأميركية أن يدرك بأن التناقض أو التباين، في المواقف لا يتخطيا تحديد الأولويات في معالجة الأهداف، وليس في اختيارها، وهذه الأهداف تشكل مزيجاً أمنياً سياسياً واقتصادياً.

فبالإضافة إلى الأهداف الأمنية المعلنة هناك الأهداف السياسية والاقتصادية غير المعلنة، وتشكل الثقل الأكبر في القرار الأميركي، فالنقطة ما زال المصدر الأول للطاقة، وهو الأقل كلفة من المصادر الأخرى، ويشكل حاجة حيوية لجميع الدول الصناعية بصورة خاصة، وللعالم أجمع بصورة عامة، وبالتالي فالدولة التي تسيطر على منابعه واحتياطه، هي التي تتحكم في إنتاج العالم، كلفة وحجماً.

لقد كبرت اللعبة العالمية على الدول الشرق أوسطية، وشعرت جميعها بأنها في دائرة مفرغة، تدور فيها دون أن تعرف أين تبدأ الدوران أو أين أنهيه، وتحاول أن تجد لها دوراً في هذه اللعبة، فترى نفسها خارجها، فليس لها في ماضيها ما يؤمن لها الاستمرار، وليس في حاضرها ما يجعل منها نموذجاً للمستقبل، فالمواصفات غير متوفرة في أنظمتها، بعد أن أبدت عقمها خلال عقود من الزمن، وأصبحت أسيرة ماضيها المتحجر، فهي تكرر ذاتها دون تجدد، وتعجز عن هضم التحولات، الذي لو تم لجعل منها نقيض إيجابي لما هي عليه الآن من سلبية.

دول وأنظمة ديكتاتورية بشكل أو بآخر، منها من حضر للحرب والمواجهة وعجز عنهما، ومنها من حضر نفسه للسلم والاستقرار فعجز عنهما أيضاً، وربما يعود ذلك في كلتا الحالتين إلى حالة العجز المزمنة في بناء المجتمع الحر المتنامي، الذي يستطيع تحمل خيارات السلم والحرب، والانخراط في النظام العالمي.

وإذا كانت الضرورات الأمنية تقضي في بادئ الأمر بالقيام بأعمال عسكرية تؤدي إلى السيطرة الميدانية، فإن إنجاز هذه المرحلة سيُتبع بتغيير سياسي، يحافظ على الأهداف الاقتصادية تحت عناوين الديمقراطية والتنمية.

في هذه الأجواء المحتملة، ماذا سيكون مصير الأنظمة التي تحيط بالعراق، فهل باستطاعتها البقاء على ما هي عليه الآن؟ أم أنها ستتداعى وتقع في الفوضى؟ أو تلتحق بالنموذج الجديد؟

من المؤكد أنها ستكون أي شيءٍ آخر.